غلطة العمر

قصة بقلم علي بدور

كانت الساعة تدق العاشرة في تراخ كانها كانت هي الاخرى تحس بوطأة الحر .. حتى اوشكت ان تؤدي واجبها بفتور كما تفعل سائر المخلوقات في فصل الصيف ، وفي شهر تموز بوجه خاص .

لعلها السنة العشرون التي يخلد فيها فهمي افندي الى الراحة في شهر تموز ، وقد اعتاد رئيس الدائرة ـ رئيس المحفوظات في وزارة الداخلية ـ ان يوافق على الطلب الذي يقدمه فهمي افندي للحصول على ماذونية شهر يخلد فيه الى الراحة والسكينة ، وهو وقد سلخ هذه الاعوام في خدمة الدولة ، واشرف على سنيه الاخيرة ، يحظى باحترام مرؤوسيه ، بالاضافة الى كل من تعاونوا معه خلال هذا الاعوام الموغلة في البعد .

وصاحت ـ ام وجيه ـ الزوجة ، من المطبخ وهي تحاول في عناء ، تنقية الخضار من الاوشاب :

ـ الساعة العاشرة يا ابو وجيه ، اما كفاك النوم ، وقد نمت مبكرا ؟

كان فهمي افندي ، قد استيقظ منذ التاسعة .. واشعل لفافته ، وتناول مسبحته البيضاء ذات المئة حبة وحبة ، وحدق في سقف الغرفة وابتسم كعادته .. انه العنكبوت .. حيث لاتطاله الايدي .. وقد لاتطاله العصي .. واعتكر جو الغرفة بهذه الضبابية .. العنكبوت يخلع اردينه على زوايا السقف ، اشبه بنبات ادركه اليباس .. ودخان اللفافة اشبه بغيوم جافة لا ماء فيها .. تحاول ان تروي ظمأها .. من لهفة العنكبوت .. هذا النبات الذي ادركه الموت على غير انتظار .. وكانت اصوات حبات المسبحة المنتظمة اشبه بلمسات الاوتار التي تفتح مغالق النفس ، كلما كان الصوت شجيا . والانامل فنانة خبيرة بفنها .

ان فهمي افندي رجل جد . لم يكن في حياته كلها ليحلم بامور بعيدة المنال . لم يحلم بالصعود الى القمر .. ما دام يكتفي بنوره... ولم يحلم بالغنى مادام قنوعا براتبه .. ولم يحلم بالمجد مادام يعلم ان طريق الوظيفة قلما يمر بالامجاد ، ولكنه كان يحلم ضمن نطاق ضيق، ضمن دائرة مغلقة هي حياته الخاصة . كان يندم في بعض الاحيان لانه لم يستطع ان يفعل شيئا هو في ذاته قادر عليه . كان يقلق من جراء تسرعه في اعطاء بعض الوعود والمواثيق ، ويعلم انه اراد ان يؤجل، ولكنه التسرع والطيش .. ولم يكن يشك في ان الحياة انما هي قدر مسطور على كل فرد ولكنه كان الى جانب ذلك كله يؤمن ان في الانسان قوة يستطيع لو استعملها ان ينجو من بطش هذا القدر الجبار .. ان ينجو بريشه على الاقل !!

رزقه الله بالبنات . ولا يدري لماذا ينغص حياته ، خلو بيته من صبي . حتى ان زوجته تلقبه بابي وجيه ، تيمنا باسم ابيه .. وارتقابا للمولود المنتظر .. ولكن ذلك اقرب الى السراب الان . لقد ولت الايام التي كان فيها شابا ، ولم يعد بوسعه المساهمة في انجاب الاطفال ، اما يكتفي بالبنات المتزوجات ذوات الاولاد . ان ثلاثين سنة مضت على زواجه .. هي الان ماثلة لعينيه ، في بناته الثلاث المتزوجات وواضحة في سعادتهن وشقائهن اكثر من وضوحها في الاعوام العشرة التي قضاها يعمل في التجارة .. واكثر من الاعوام العشرين التي امضاها في الوظيفة ولا يزال .

ان حياة الانسان لاتمثل على حقيقتها في العمل الذي يعمله الانسان. ان ذلك تقليد اجتماعي ، قد فطرنا عليه ، ان الف عام من التاريخ لاتبين على جدار اثري ، بقدر ماتبين عشرة اعوام على وجه انسان حي . عيناه المشعتان بالنور ، وانفه الماثل كالوقر على صفحة الوجه ، وشفتاه المعبرتان .. وجبهته التي اتخذها الدهر ملعبا له .. ان العمل اليومي يميت طاقة الانسان .. اما الحياة على مداها ، العائلة .. الاولاد،الزوجة، الانس .. والود ، سورة الغضب ، وانبثاق الوداد من صخرة القلب الصماء ، انما هي كلها مدار حياة الانسان . هي التي يؤمن بقوتها فهمي افندي .. هي التي يعزها .. هي التي مدع عاطفته تغمرها هي التي يؤمن ان القدر لايستطيع ان ينفذ اليها بكليته ، ليفرض سلطانه على الناس ، مادام يبقى لهؤلاء فرصة بل فرص لاحصر لها ، كي يحولوا دون القدر واتمام مراميه على مسرح حياتهم ، انهم يستطيعون على الاقل ان يفعلوا شيئا ..

هذا الشيء .. لا يزال ينغص حياة ابي فهمي.. لا يزال يعذبه، لايزال يذكره بانه فرط في العزيز ، في المحبوب ، في الجميل ، في الغالي من بناته ، وبناته كلهن عزيزات ، محبوبات .

تزوجت فكرية من عادل الطبيب . لقد احب احدهما الاخر ، ولا يزالان حتى الان ينعمان بالسعادة ورزقا بولدين : صبي وبنت . وتبعتهما في العام التالي سامية الصغرى ، اذ تزوجت من التاجر نديم . انها تحب الثياب .. والمجوهرات ، وتحب زوجها كذلك حبا براقا كالمجوهرات اخاذا كالثياب الجديدة ورزقت بمعن ، ذلك الشيطان الماكر ، ولكن امينة الكبرى ، كانت فتاة غريبة .. كانت تحب العلم .. وتحلم بان تمضي به الى النهاية .. ولكن من ينتظر الجميلات حتى يتممن تعليمهن؟. لا احد ينتظر اطلاقا .. لا احد ينتظر .. وخطبت . وجاء الخطيب مع ابيه ، الصراحة مركب لايغرق ، ان فهمي افندي يذكر الان بمرارة ولكن ما الفائدة .. انه لم يهضم هذا العريس الجديد . ان فاضل لم يرق له للوهلة الاولى ، انه صيدلي .. ناجح ،وينعاطى تجارة الادوية ، وينتقل من بلد الى بلد .. ولكن ما الفائدة .حدث زوجته بذلك .. ولكن جميلة صارحته قائلة :

ـ اسمع يا ابو خالد .. ان البنت في الخامسة عشرة . انها في عز شبابها . اتريدها ان تبور والزوج صيدلي ناجح ؟.. انه تاجر ياابو خالد .. وانت موظف ، دعنا نصاهر العائلات . دعنا نفرح ببناتنا .. دعنا نبدأ حياتنا من جديد .

.. لم يستطع فهمي افندي المقاومة ، انه اعتاد النزول على رغبة جميلة .. وها هو يقول بحكم العادة :

ـ مبروك يابني !!

منذ خمس عشرة سنة قال فهمي افندي :

ـ مبروك يابني !!

ومنذ خمس عشرة سنة لايزال نادما . لقد تكشفت له الحقائق عن

سلوك هذا الفتى الغرير ، هذا الصيدلي الذي يبيع الادوية .. وهو بحاجة لان يشتويها كلها لنفسه .. ولكن ما العمل ؟

احس فهمي افندي بغصة .. ان اللفافة توشك ان تنفد .. وسقف الغرفة اضحى مختفيا خلف سحب الدخان .. وامحى عن ناظريه نسيج العنكبوت الذي يقتنص الذباب ، واوشك حب المسبحة ان يدور دورة كاملة ، ودقت الساعة دقاتها الاحدى عشرة .. وصاحت جميلة .. وهي في المطبخ توشك ان تبدأ بطهو الطعام .. عندما سمع صوتها الحاد ، ينطلق عبر الممر .. مسرعا الى اذنيه :.

ـ الا تقوم يا ابو خالد من سريرك .. ان شهر تموز في بدايته ، ايمضي كله في السرير ؟

لم يجب فهمي افندي بشيء .. انما اطفأ لفافته الخامسة ، ورمق الشارع من النافذة ، ثم عاد الى سريره ينعم بالراحة والهدوء .

حدق ابو خالد ، من جديد في سقف الغرفة ، فوجد الدخان يضمحل شيئا فشيئا .. وهاله ان العنكبوت لايزال في الزاوية ، اشبه بالنبات الذي ادركه الموت .. فزايلته خضرته .. وند عنه رواؤه وتذكر حياته ، انه في الخمسين ، واب لثلاث بنات متزوجات .. وموظف منذ عشرين سنة ، يسره ابلغ السرور ان ابنتيه في سعادة بالغة ، ويعكر عليه صفو العيش ان الثالثة امينة تتعذب ، زوجها يسافر كثيرا ... لايمكث في الصيدلية اسبوعا واسبوعين حتى يشد الرحال الى بلد بعيد يمكث فيه شهرا او شهرين ... ثم يعود . وهكذا !! الا لعنة الله على الامراض .. تلك التي اوجدت امثال زوج ابنته بتعاطيهم تجارة الادوية .. ولكن ايكون فاضل لاشيء اذا لم تكن الادوية تجارة رابحة.. بلى ـ سوف يكون اي شيء .. ولكن الانسان عندما يكرهه الاخرون ، لايظل هذا الكره عالقا بشخصه .. بل يمتد ويتسع حتى يشمل العمل الذي يعمله .. والبيت الذي يسكنه ، والمدينة التي لايبرحها .. وحتى الامة التي ينتسب اليها . ان فهمي افندي انسان واقعي ، قد لايشتط في مثل هذه الافتراضات .. ولكن ماذا يصنع وقد مضى على الزواج خمس عشرة سنة . وابنته اليوم ام لولدين ، انها تعذبت معه كثيرا .. وحاولت ان لاتعود اليه اكثر من مرة .. ولكن امها كانت تقنعها ... وكانت تجبره على عتابها في رفق .. ويطلب اليها في لين ، ان تقبل اعتذار زوجها الصيدلي .. ثم تعود معه الى بيت الزوجية .. غير مقتنعة بجدوى هذه العودة .. لولا هذان الصبيان : غسان وعامر .

خطر لفهمي افندي اكثر من مرة .. لو انه طلقها منه .. انه لم يهضمه منذ البداية ، لم يرحب به . صيدلي ناجح مفهوم . تاجر ادوية كبير مفهوم . عمره ثلاثون سنة .. مفهوم . لم يؤذه في حياته .. ولم يحتقره ولم يره قبلا .. كان ذلك كله مفهوما .. ولكن الشيء الذي لم يفهمه فهمي افندي حتى الان ، ان عليه تصور هذا الصيدلي زوجا لابنته امينة . لقد احس للوهلة الاولى انه انسان ثقيل الظل ، غليظ القلب . غريب الطباع ولكنه وقد اعتاد ان يقول نعم .. بعد الحاح زوجته .. وجميلة زوجته قد الحت عليه فقال :

ـ مبروك يابني ..

.. قالها وهو يغص بها . تمنى لو يشرق بريقه ، فيتاخر الزواج سنة على الاقل !!

ولكن ماله الان .. وهذه الافكار ؟ ماذا يفيد ذلك كله .. وابنته ذات ولدين في الثلاثين من عمرها .. لايدري كيف تحيا .. وحدها ، عندما يغيب زوجها عنها .. عندما يمكث اكثر من شهر بعيدا عنها .. عندما تضطرها الظروف لان تغلق على نفسها بابها منذ الغروب .. فلا تزور ولا تزار .. انه لايزال في الخمسين .. ولا يزال يامل اشياء كثيرة .. وفتاته التي في الثلاثين ماذا تامل عندما تجد اباها وزوجها متقاربين في السن .. بماذا تحلم هذه الصبية الحلوة الجذابة المرحة عندما تبصر ولديها ينموان .. وزوجها غائب اذا حضر .. وغائب .. اذا غاب !!

وتحدرت من عين فهمي افندي دمعة حارة وهم بان يمسحها عندما دخلت عليه زوجته ضاحكة وهي تخبره بقولها :

ـ ان الاستاذ لايلبث ان يحضر .. والطاولة جاهزة .. اريدك ان تغلبه اليوم .. اما كفاك خسرانا تجاهه ؟.

ولكنها ما انتهت من كلامها حتى شهقت ... وبينما كان فهمي افندي يدير وجهه نحو الحائط ليخفي دمعته الحرى على زوجته .. كانت جميلة تصرخ :

ـ انه يبكي ..

وتساله وهي تهزه :

ـ ماذا اصابك يارجل .. تكلم ؟

ولكن فهمي افندي تجلد .. وهمس في اذنها بهدوء .. وهو يضمها الى صدره بحنان وعاطفة صادقة :

ـ لاتاسي ياجميلة .. ان الدموع تطهر النفس ، وتفرج الكروب .. انني سعيد مادمت بجانبي .

وعاودت جميلة الحديث .. تريد ان تخرج عن هذه الدائرة المغلقة :

ـ ان اعتماد في السينما مع اختها امينة .. ولم تعودا .. بعد ! مسكينة اعتماد اليس كذلك يا ابو خالد ؟

والتفت اليها فهمي افندي مشدوها :

ـ اعتماد في السينما مع اختها امينة .. نعم اعتماد ..

وتمتم في دخيلة نفسه .. وهو يقوم عن سريره .

ـ لم اتذكر اعتماد كفاية . لقد شغلني الصيدلي .. لعنة الله على الشيطان . اعتماد مسكينة نعم .. ولكن لماذا ؟ ان امها تعتقد ذلك بمجرد انها لم تتزوج .. انها في المدرسة ... ولن ازوجها . سوف لا افرط فيها .. كفاني ذلك الصيدلي الذي يحذرني وضعه على الدوام ان اعتماد فتاة طيبة .. خلوقة ..

وقطع على فهمي افندي سيل همساته جرس الباب .. وصاح في اغتباط قبل ان يتبين من الطارق :

ـ انه الاستاذ منير !!

دخل الاستاذ منير . انه كعادته .. يزور العائلة في بعض الاوقات.. حيث بدا التعارف فيما بين العائلتين عندما زار صاحب البناية ذات الطبقات الخمس ، منذ سنتين ، فهمي افندي في منزله .. وتجاذبا اطراف الحديث .. حتى قال فهمي افندي :

ـ اتبقي الطابق الثاني خاليا يامحسن افندي ؟

ـ انها مفاجاة .. لقد اجرته اليوم . انه استاذ مدرسة . هو وامه فقط . ويسرني ان يعجبك ذوقي في انتقاء الجيران يافهمي افندي ؟

فضحك فهمي افندي بعد ان تبسم ضيفه ابتسامة افهمه بها .. انه المقصود كذلك بعبارة الجيران الطيبين .. فرد عليه قائلا :

ـ ليس مهما كثرة افراد العائلة او قلتهم .. المهم ياخي اسلوب حياتهم .. وطريقة تعرفهم الى الناس ان خفة الظل هي المعول عليها

فتاة في المدينة ..

مجموعة اقاصيص بقلم

محمد ابو المعاطي ابو النجا

دار الاداب — صدر حديثا

دائما .. واظنك توافقني على ذلك ؟

يصعب على المرء عندما تتوطد الصداقة فيما بينه وبين انسان اخر ان يتذكر متى لقيه .. وكيف ومتى توطدت الصداقة بينه وبين ذلك الانسان .. وفهمي افندي الان يصعب عليه كذلك ان يذكر متى آثر هذا الشاب منير بصحبته .. سهرات الشتاء .. واماسي الصيف .. كانت كلها اشبه بتساقط الثلج ذرة فذرة .. قد يصعب على الانسان ان يحصيها او يرقب تراكمها بعضها فوق بعض .. ولكنه اذا نام .. ثم استيقظ وجد الارض مغطاة بلحاف ابيض .. نظيف ، ناصع .. انه كالصداقة التي ربطت العائلتين ودمجتهما .. وجعلت افرادها متفاهمين ضاحكين بملء قلوبهم ، ويعبرون عن ذلك بنفوس مشرقة بالسعادة والرضى .

كانت جميلة وهي في المطبخ تعد القهوة للاعبين ، تسمع صوت احجار الطاولة وتدحرج الزهر ، بين الفينة والفينة ، كانت تفسره بانه الحظ .. والفال الحسن . انها تحب زوجها .. وكذلك تحب هذا الشاب منير ، الذي هو بمنزلة الولد .. بمنزلة خالد الذي لم ترزق به .. انه الاخر انسان طيب .. وتسأل نفسها بينما القهوة توشك ان تغلي :

ـ ماذا لو خطب اعتماد . انها جميلة وحلوة .. ولا باس بها . سنتان مرتا .. وهو لايزال على حاله لم يتقدم .

واقبلت بين يديها صينية القهوة .. فوقفت فوق رأس زوجها تتامل اللعب فصاح بها مازحا :

ـ ابتعدي ارجوك .. اتريدين خسارتي .. انني بذلك سوف افكر بك .. وقد يسبقني الاستاذ مادام لايفكر باحد !!

ففحك الثلاثة .. وخاطبها منير في رقة وعذوبة :

ـ تعالي الى قربي ياعمة .. انني اريد ان افكر !!

ولكن جميلة عادت الى المطبخ .. ترقب الطعام الذي اوشك ان ينضج وهي تتحدث لنفسها بصوت اعلى من الهمس :

ـ كلاهما يريدان الربح .. احدهما يفكر .. والاخر لايريد ذلك .. التسلية هي الاهم ولكن اجازة ابو خالد في شهر تموز .. تحتاج الى خبراء في اوقات الفراغ لتزجيتها ..

لم يكن منير من المغرمين بلعب الطاولة .. حتى ولا لعب الورق .. كانت هذه الالعاب كلها لاتحظى من وقته بالكثير .. ولكنه في اوقات فراغه التي ينفقها في المطالعة والكتابة والتنزه كان يمضي مع فهمي افندي في بعض الاوقات للعب الطاولة .. تزجية للفراغ ، وتسلية ليس غير . ولكن فهمي افندي كان خبيرا ، متمرسا .. عليما بمداخل هذه اللعبة ومخارجها . وكان في لعبه تجاه منير لايلعب بكل خبرته وكل فنه . انما كان يكتفي بان يشعر منير معه ، انه يعادله في المقدرة ، لانه كان يدرك بالبداهة ، ان مجرد لعبه لعبا حاذقا ، سوف يدع منير يشعر بالفارق .. حتى يمل .. ثم يقلع عن اللعب بالمرة . ولذلك كانت اللعبة رابحة مرة لمنير .. ومرة لفهمي افندي .. وبذلك استطاع هذا الرجل المجرب ان يرضي بعض غرور الشباب ببعض حكمة الشيوخ وسابق تجربتهم في دنيا الحياة والناس .

ظلا يلعبان حتى الواحدة .. حيث شربا القهوة خلال ذلك وانهيا ماربهما من اللعب ، بانتصار فهمي افندي هذه المرة ، وتحدثا في السياسة قليلا .. وفي الطقس .. وفي اغلب الوقائع اليومية .. وقام منير مودعا يريد الانصراف .. وبينما كان فهمي افندي يعرض عليه البقاء بحرارة وصدق لتناول الغداء وكذلك فعلت جميلة زوجته ، كان منير يبدي اعتذاره :

ـ ان رفع الكلفة بيننا اضحى تقليدا محببا .. وارجو ياعم ان تثق .. انه لولا ضيوف سوف يزورونني لبقيت ..

وفي خلال هذا الحديث القصير على الباب ، كانت امينة واعتماد تصعدان الدرج ثم تلبثان على الباب برهة لتحية الاستاذ منير .. الذي بادرهما السؤال :

ـ في السينما اليس كذلك ؟

فاجابته امينة :

ـ نعم في السينما ..

ـ وفي اي فلم اذن ؟

فردت اعتماد

ـ الحب الثاني !!

وبحركة لا شعورية ، وجد منير نفسه مسوقا ، لان يهبط الدرج ، بينما دخلت الفتاتان المنزل والحر اوشك ان يبلغ اوجه ، والعرق يتصبب من وجهي الفتاتين بغزارة . وفي الصالون استراحتا قليلا .. ثم قامت امينة الى الهاتف تحدث الصانعة :

ـ اجاء الاولاد من المدرسة ياسنية ؟

ـ نعم ياستي !

ـ انني عند اهلي . ضعي لهما الطعام . وسوف احضر مساء .. اذا سالا عني قولي لهما انني هنا .

ولحقت امينة باختها في الحمام .. ان الماء البارد الان اشهى من الفلم .. اشهى من الحب الذي بدأ ينمو في قلبها منذ اليوم الاول الذي رأت فيه منير عند اهلها .. ولكنها لم تجرؤ على القول .. وانغمرت بجانب اختها اعتماد في البانيو .. كانتا اشبه بفتاتين صغيرتين بريئتين، قد اوغلتا في البراءة والطهر بعيدا . وكان فهمي افندي وهو في الصالون ينتظر الغداء .. يكاد يضحك معهما .. حيث وصلت اذنيه اصواتهما وضحكاتهما فاوشك ان يشركهما في الحديث .. ولكنه لم يفعل .. وسرته امينة ان بدت على غير عادتها ، منطلقة ضاحكة ، مستبشرة ، تحاول ان تعود الى الوراء ، عشرة اعوام .. نعم عشرة اعوام الى الوراء بمرة واحدة ، وخطر لتبرير ذلك كل شيء في ذهن فهمي افندي الا ذلك الخاطر الوحيد .. الحب !!

حلب علي بدور

مجموعات الآداب

لدى الادارة عدد محدود من مجموعات السنوات الثماني الاولى من لاداب تباع كما يلي :

	غير مجلدة	مجلدة
مجموعة السنة الاولى	٩٥ ل.ل	١٠٠ ل.ل
« « الثانية	٢٥ «	٣٠ «
« « الثالثة	٢٥ «	٣٠ «
« « الرابعة	٢٥ «	٣٠ «
« « الخامسة	٢٥ «	٣٠ «
« « السادسة	٢٥ «	٣٠ «
« « السابعة	٢٥ «	٣٠ «
« « الثامنة	٢٥ «	٣٠ «